



فبذلك فليفرحوا

02 آيات متفرقة

خطبة جمعة

2025-12-05

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

يا ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفزع كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هُداك، وكيف نذل في عزك، وكيف نُضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك، والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جزي نبياً عن أمته.

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد، وسلّم تسليماً كثيراً.

مقدمة:

وبعد أيها الإخوة الكرام: فالإنسان أي إنسان، يقول، أو يفعل، أو ينوي، أو يشعر، أو يُحَدِّث نفسه، هذه هي نشاطات الإنسان في الأعم الأغلب، يقول، يفعل، ينوي، يشعر، يُحَدِّث نفسه بشيء حديث النفس، والإسلام العظيم يُراقب أقوال الإنسان، ويُراقب أفعاله، ويُراقب نيَّته، ويُراقب مشاعره، يُراقب كل شيء، لذلك يشعر المؤمن بدوام المراقبة، فينضبط سلوكه، وتنضبط أقواله، وتنضبط نيَّته، وتنضبط مشاعره، وهذا لا تستطيعه أي أنظمة وضعيَّة، الأنظمة الوضعيَّة جُلُّها إن استطاعت، أن تضبط أقوال الإنسان في حدود مُعيَّنة وأن تضبط أفعاله في حدود مُعيَّنة فقط، مثلاً في الشارع قف على الإشارة الحمراء، في الشارع إلترِم لباساً مُعيَّناً، في الشارع أو في الدوائر الرسمية، لا تتكلم كلاماً يمسُّ هيبة الدولة، أو دستور الدولة، أو إلى آخره...

تضبط الأنظمة الوضعيَّة بعض أقوال الإنسان وبعض أفعاله فقط:

تضبط الأنظمة الوضعيَّة بعض أقوال الإنسان وبعض أفعاله فقط، وتعجز عن ضبط جميع أقواله وأفعاله، فإذا أغلق بيته قال ما شاء، وفعل ما شاء، ولا رقيب عليه، وكلما قوت قوة القانون، كان الضبط أكثر بالأقوال والأفعال، أمّا الإسلام العظيم، فيُعنَى بضبط أقوال الإنسان أولاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا (53)

(سورة الإسراء)

يأمرُك أن تضبط أقوالك بأن تقول الأحسن دائماً.

على سبيل المثال وليس الحصر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا ۚ وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا ۚ إِنَّكُم أَخَذْتُم مِّنَ لَّحْمِ أَخِيهِ مَيْتًا
فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (12)

(سورة الحجرات)

يضبط قولاً من أقوالك، ألا تذكر أخاك بسوءٍ في غيابه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا يَسَاءُ عَسَىٰ أَن يَكُونَ خَيْرًا مِّنْهُمْ ۚ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۚ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (11)

(سورة الحجرات)

يضبط أقواله، ويضبط ويراقب أفعاله (وَلَا تَجَسَّسُوا).

{ لعنةُ الله على الرَّاثي والْمُرْتَبِي }

(أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد)

ضبطُ للفعل.

{ مَنْ عَشَّأَ فَلَيْسَ مِنَّا }

(أخرجه البخاري والطبراني)

حديث النفس لا يُؤاخذ عليه الإنسان:

الآيات والأحاديث في ضبط أقوال الإنسان وأفعاله، أكثر من أن تُحصى، كثيرة، يضبط تحركك في بيتك، مع زوجتك، مع أهلك، في الشارع، مع الناس، في العمل، في المتجر، في المسجد، في صلاة الجماعة، كيف تقف، كيف تلتزم الصف، كيف تتعامل مع أخيك المسلم، كيف تتعامل مع غير المسلم، كيف تتعامل مع النبات، كيف تتعامل مع الحيوان، ضبط كامل لأفعال الإنسان ولأقواله، ومن رحمة الله العظيمة بنا، أن الله عز وجل تجاوز عن حديث النفس، فحديث النفس لا يُؤاخذ عليه الإنسان، قال صلى الله عليه وسلم:

{ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجَاوَزَ لِأَمْنِي عَمَّا حَدَّثْتُ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ، أَوْ تَكَلَّمَ بِهِ }

(أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي)

ما دام النطاق حديثٌ نفس، فقد تجاوز عنه الله، إذا انقلب إلى فعلٍ أو إلى كلام، حاسب الله عليه، وهذه رحمةٌ من الله، الآن يُراقب الإسلام العظيم، يُراقب القرآن الكريم، يُراقب الشُّعْرة المُطَهَّرة بُنَاتنا، وهذا لا يستطيعه نظامٌ وضعي، النِّية، فيعمل رجلان عملاً واحداً، فُتْناب الأول ويُعاقب الثاني، والفعل نفسه، يقف رجلان ليُصليا، الأول يُرائي بصلاته ليراه الناس، فيأخذ أماناً، والثاني يُصلي ابتغاء وجه الله، فيأخذ حسناً والفعل نفسه.

{ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ فَمَن كَانَتْ هَجْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَن كَانَتْ هَجْرُهُ إِلَىٰ دُنْيَا

يَصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهَجْرُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ }

(أخرجه البخاري وأبو داود ومسلم)

لا يجوز أن تحكّم على نية إنسان:

هذه مراقبة للنيّات لا يملكها أحدٌ في الأرض، ربما من الطُرف أحياناً، أنّ بعض أنظمة الطُغيان والاستبداد، كانوا يقولون للبعض في السجون: أنت نويت كذا أو كذا بهذا الأمر، يحاولون الوصول إلى نيّتهم، لكن في الأصل النية عند الله وحده. لذلك سطرُ الفقهاء قاعدةً عظيمة قالوا: "تحكّم بالظاهر والله يتولى السرائر" لا يجوز أن تحكّم على نية إنسانٍ، لا يجوز أن تقول لإنسانٍ: أنت نويت كذا، أنت تريد كذا من هذا الفعل، أبداً، أنت كمؤمن تأخذ الأمور على طواهرها، ولا تدخل في النيّات، من هنا قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا صَرَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (94)

(سورة النساء)

رجُل قال لك: السلام عليكم، أنا أسلمت، تقول له: أنت تريد أن تُسلم، من أجل أن تبقى القتل في أرض المعركة (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا) أبداً، قال لك أسلمت حُذه على الظاهر، ربما تحذر، تأخذ جذرك لعله قالها نقيّة، لكن لا تعامله إلا على طاهره، لأنّ النيّات يُراقبها الله وحده، ومن هنا فقد قال صلى الله عليه وسلم:

{ إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَن هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِن هُوَ هَمَّ

بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَى سِتِّ مِائَةٍ ضَعْفٍ، إِلَى أَصْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَن هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً

كَامِلَةً، فَإِن هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سِتِّينَ وَاجِدَةً }

(أخرجه مسلم)

رجُل قال سأُصدّق غداً إن شاء الله، ثم افتقر في اليوم الثاني، لم يجد ما يتصدّق به، كتبه الله كأنه تصدّق، وهو لم يفعل شيئاً، لأنه راقب نيّته، قال سأقوم الليل، وضبط ساعته على وقبٍ لقيام الليل، لكنه كان مُتعباً فغلبته عيناه، كتب الله له أجر القيام.

في الوقت نفسه (وَمَن هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً) طبعاً لم يعملها كما جاء في رواياتٍ أخرى للحديث، خوفاً من الله، وليس لم يعملها بمعنى مثلاً: أراد أن يسرق فذهب فوجد الشرطة قد أحاطت بالبيت، فعاد ولم يسرق، لا، أراد أن يفعل سوءاً ثم استغفر ربّه، قِيلَ لا أفعل مخافة الله (كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً) لأنّ الله يُراقب نيّاتك أيّها المؤمن، وهذا من عظيم فضل الله تعالى علينا، وفي الوقت نفسه مما يُخيف الإنسان، أن يطلع الله على نيّتي سيئتي في قلبه تجاه أخيه المؤمن.

الإسلام يُراقب مشاعرك:

أيّها الإخوة الكرام: لكن ما أريد أن أصل إليه الآن، أنّ الله تعالى بعد أن راقب أقوالنا، وراقب أفعالنا، وراقب نيّتنا، الآن الإسلام يُراقب مشاعرك، هذه لا يستطيعها أحدٌ في الأرض، ما الذي تشعُر به؟ يجب أن ينضبط الشعور بمنهج الله تعالى، والأمثلة على ذلك كثيرة في كتاب الله، مثلاً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ تَصَرَّهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ۚ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۚ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (40)

(سورة التوبة)

أمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لسيدنا أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه **(لا تحزن)** الحزن يُميت القلب، يجعله في كمد، لا أريدك أن تحزن، تذكر أن الله معنا، يذهب الحزن من قلبك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئًا ۖ يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ خَطًّا فِي الْآخِرَةِ ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (176)

(سورة آل عمران)

يُخاطب الله نبيه: أريد منك شعوراً ليس فيه حزن **(وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ)**.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (175)

(سورة آل عمران)

يوجه مشاعرك، لا تخف من العباد، جُل ما يستطيعون فعله، وأقصى ما يستطيعون الوصول إليه أن تموت، تموت في سبيل الله فتلقى الله **(فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)** يُراقب شعور الخوف عندك، يقول صلى الله عليه وسلم:

{ عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْقِلٍ بْنِ مُقَرِّنٍ قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي وَأَنَا إِلَى جَنِيهِ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ أَبِي: أَسَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فقال: نعم سمعتُ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلم يقول: **النَّدَمُ تَوْبَةٌ** }

(أخرجه الحاكم وابن ماجه وأحمد)

النَّدَمُ شعورٌ في داخل الإنسان:

النَّدَمُ شعورٌ في داخل الإنسان، يراقبه الله تعالى، فإذا عرف منك ندماً على ما كان منك، فالندم ركن التوبة الأعظم، فقد ثبت حقاً، لأنَّ الندَم يسبقه علمُ بأنك قد أذنبت، وبعقبه عملٌ لإصلاح ما أفسدت، فالندَم هو التوبة، هذا شعور، التوبة في حقيقتها ندم العبد، شعورٌ في داخله بالندَم على ما كان منه، يُراقب مشاعرك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ حُبِّهِمْ وَجُبُوتُهُ أُذِلَّتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَغْرَى عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (54)

(سورة المائدة)

الحُب شعور:

الحُب شعور، والله تعالى يُراقِب هذا الشعور، فبإدراكك حُبَّيَّ حُبِّ جَلَّ جلاله، بل بذاك بالحُب، قال: (يُحِبُّهُمْ) ثم قال: (وَيُحِبُّونَهُ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134)

(سورة آل عمران)

كظم الغيظ شعور:

كظم الغيظ شعور، الغيظ شعور في الداخل، فإذا كظمت غيظك في داخلك، ولم تقبله إلى عمل، عَلِمَ الله منك هذا الشعور فأتابك عليه (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ). ومن المشاعر التي يُراقبها الله تعالى الفرح، نحن اليوم في أيام فرح، في هذا البلد الطيب، وهذا الشعور شعور الفرح، مُراقِبٌ من ربنا جَلَّ جلاله الذي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَنَّهُ هُوَ أَصْحَكُ وَأَبْكَى (43)

(سورة النجم)

هو يُضحكنا إن شاء، ويُبكيها إن شاء، لكنه أرادنا أن نفرح، فالفرح شعور يُراقبه المولى جَلَّ جلاله، وأقول الآن: قُلْ لي ما الذي يُفرحك أَفَلْ لك مَنْ أَنْتَ.

الفرح شعور:

هناك من الناس من يُفرحه جلسة فيها معصية لله، مثلاً شاي يقول لزميله صباح اليوم الثاني: فانتك السهرة يوم أمس، كانت السهرة تمام، والسهرة معصية لله والعياذ بالله، يفرح بالمعصية، وهناك من تُفرحه الطاعة، يقول لك الحمد لله وَقَفَنِي الله لأداء العُمره، الحمد لله أَنْ الله وَقَفَنِي لأداء صلاة الفجر في المسجد، الحمد لله أَنْ وَقَفَنِي الله لصيام شهر رمضان، الحمد لله أَنْ وَقَفَنِي الله لهذا العمل الصالح، يفرح، يقول لك: أمس تصدقت صدقةً والله فرحت من أعماقي لأنَّ الله يسرَّها لي، أرسل الله من جعل حاجته على بابي، فلك الحمد يا رب، يفرح، انظر إلى فرح الناس تعرف من الناس.

هناك مَنْ يفرح بأن يأخذ، كل ما أخذ أكثر يفرح، وهناك مَنْ يفرح أكثر عندما يُعطي، عندما يُسعد الآخرين، عندما يُدخل السرور إلى قلوب الناس، فالفرح شعور لكن الله تعالى يُراقبك، فتأمل أَنَّ الله تعالى يُراقِب فرحك، ويُراقِب حُزنك، فلا تجعل حُزنك إلا على طاعةٍ فأتت، أو على معصيةٍ ارتكبت، ولا تجعل فرحك إلا على طاعةٍ فعلت، أو على معصيةٍ تركت، هذا هو الفرح الحقيقي.

{ للصائمين فرحتان: فرحة حين يفطرون، وفرحة حين يلقى ربُّهُ }

(أخرجه البخاري ومسلم)

الفرح الحقيقي هو فرح الطاعات:

لأنه أتمَّ الطاعة، أتمَّ الله شهره، وإذا لَقِيَ ربُّهُ فرح بصومه، الفرح الحقيقي هو فرح الطاعات، أن تنال رضا الله تعالى، أن تكون في معيَّته، أن تكون قريباً منه، هذا هو الفرح، وما سواه إن وافق شرع الله فرحنا وإن خالفه تركنا، هذا هو فرح المؤمن. أيُّها الإخوة الكرام: دَمَّ الله تعالى فرحاً في القرآن ومدح فرحاً، دَمَّ الفرحين بالدنيا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ۖ وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُتُوبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ

اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (76)

(سورة القصص)

الله تعالى لا يحب الفرحين بالدنيا:

لا يحب الفرحين بالدنيا، الذين تأخذهم الدنيا فيعضون الله فيها، لا تفرح، هنا نقول: لا تفرح، يذم الله هذا الفرح، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اللَّهُ يَسُطُّ الرُّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ **وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ** (26)

(سورة الرعد)

يذمهم جلّ جلاله **(وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا)**.

سيدنا عمر رضي الله عنه، وانظروا إلى هذا المعنى الجميل، قرأ قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
رُبَّنَّ لِلنَّاسِ هُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْبِ ۚ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْقَآبِ (14)

(سورة آل عمران)

فلما قرأه قال: "يا ربّ إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينته لنا" الحياة الدنيا فيها زينة، مُزينة تُفرح قلوبنا، فقال: "اللهم إني أسألك أن أنفعه في حقّه" عندها يصيح الفرّح محموداً، كان مذموماً فأصبح محموداً لما أنفق في حقّه، الإسلام واقعي، كل إنسان يأتيه شيء من الدنيا يُدخل السرور إلى قلبه، لكنه لا يُخرجه عن دينه، يُنفق ما آتاه الله في حق الله، ذمّ الله تعالى الفرّحين بتخلّفهم عن الجهاد، إنسان استطاع أن ينجو من شيء فيه مشقة ففرّح، وهذا الشيء فيه أجر عظيم من الله.

{ ذرّوه سنام الإسلام الجهاد في سبيل الله لا يناله إلا أفضلهم }

(أخرجه الطبراني)

قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ جُلَاثَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرْبِ ۗ قُلْ
تَارَ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (81)

(سورة التوبة)

فدّمهم الله تعالى لأنهم فرحوا بترك الجهاد في سبيل الله، وامتنح الله الفرّحين في مواطن أخرى، فامتدح من يفرحون بنصر الله، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا ذُكِّرَ عَلَى اللَّهِ بَعِزٌ (20)

(سورة إبراهيم)

ليس في الوجود إلا الله:

في مثل هذه الأيام قبل عام، مَنْ كان يقول إنّ هذا النظام المُجْرِمُ سيسقط، يُبْهِمُ في عقله، لكنه سقط، ولا تُحدثني عن اتفاقياتٍ وإن وجدت، ولا عن تحالفاتٍ وإن كانت، ولا عن تغيير موازين قوى وإن حصلت، ولكن قل إنّ الله جلّ جلاله، الذي يُقَلِّبُ التحالفات، ويُقَلِّبُ التوازنات، هو الذي سلب هؤلاء المجرمين حبل الإمهال، وأخذهم فلم يُفلتْهم، ولا تتحدث إلا عن التوحيد، فليس في الوجود إلا الله، وكل من تُشاهدْهم، إنما هم دُُمى يتحركون بأمره جلّ جلاله.

شاء الله تعالى، فإذا شاء الله فلا رادّ لمشيئته، وإذا حكم فلا رادّ لحكمه، وإنّ الله جلّ جلاله يقوي أعداءه حيناً من الزمن، يختبر عباده، فيقول ضعاف الإيمان أين الله؟ ثم إنه جلّ جلاله يُطهر أبنائه، حتى يقول كافر لا إله إلا الله، هذه سنة الله.

{ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمِلِّي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرَأَ وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ، إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ }

(أخرجه البخاري)

شاء الله تعالى أن تتحرر بلادنا، من هذه الطُغمة الحاكمة، من هذه العصابات، من هذه الميليشيات الطائفية الحاقدة، التي أرادت أن تُغيّر وجه الشام، وأن تقلبه من وجهٍ إسلامي ناصع، إلى وجهٍ طائفي حاقِد، لا يمتّ إلى الإسلام بصلة، شاء الله تعالى أن لا نرى تلك الوجوه الغريبة في ديارنا، وأن تعود الشام لأهلها، وأن تعود الشام لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال:

{ عَلَيْكُمْ بِالنَّشَامِ، فَإِنَّهَا صَفْوَةُ بِلَادِ اللَّهِ، يَسْكُنُهَا خَيْرُهُ مِنْ خَلْقِهِ، فَمَنْ أَتَى فَلْيَلْحَقْ بِمِقْنِهِ، وَلْيَسْقِ مِنْ عُذْرِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ نَكَفَلَ لِي بِالنَّشَامِ وَأَهْلِهِ }

(أخرجه الطبراني)

يجب أن نشكر الله تعالى على نعمه:

حَقٌّ للسوريين اليوم أن يفرحوا، ووجب عليهم أن يشكروا لربهم عظيم نعمته، قال تعالى مُخَاطَباً نَبِيَّهَ مُوسَى عليه السلام:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (5)

(سورة إبراهيم)

ونحن نُذَكِّرُ اليوم بيوم من أيام الله، أراد الله فيه لبلادنا خلاصاً من هؤلاء المجرمين، ولا ننسى شهداءنا، كل شهيدٍ من شهداء سورية، قضوا في المعارك، أو تحت القصف، أو تحت الهدم، أو تحت الردم، أو بالقذائف، أو بالكيماوي والعياذ بالله، من هذا النظام المُجْرِمِ، لا ننسى هؤلاء الشهداء بدعاءٍ صادقٍ في هذه الأيام، أن يتغمدهم الله بواسع رحمته، وأن يجعل دماءهم نوراً لنا على الطريق، إلى تحرير أكبر إن شاء الله، وإلى نصر أكبر إن شاء الله، وما ذلك على الله بعزيز، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (7)

(سورة إبراهيم)

الشُّكْرُ أَثَمُهَا الْكَرَامُ، الشُّكْرُ بِالْقَلْبِ، أَنْ يَمْتَلِئَ قَلْبُنَا حَمْدًا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى نِعَمِهِ الْعَظِيمَةِ، وَأَلَانِهِ الْجَسِيمَةِ، ثُمَّ أَنْ يَنْطَلِقَ لِسَانُنَا بِالْحَمْدِ، ثُمَّ أَنْ تَنْطَلِقَ جَوَارِحُنَا بِالْعَمَلِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَائِيلَ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ **اغْمَلُوا آلَ دَاوُدَ سُكْرًا** وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ (13)

(سورة سبأ)

أَنْ نَعْمَلَ لِلَّهِ شُكْرًا، أَنْ نَعْمَلَ بِنَاءً فِي بَلَدِنَا شُكْرًا لِلَّهِ، كُلُّ مَنْ مَوْقِعُهُ، وَكُلُّ مِمَّا يُحْسِنُهُ **(اغْمَلُوا آلَ دَاوُدَ سُكْرًا)** فَشُكْرُ الْجَوَارِحِ وَشُكْرُ الْعَمَلِ، مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الشُّكْرِ، أَنْ تَنْطَلِقَ إِلَى عَمَلٍ يُرْضِي اللَّهَ تَعَالَى شُكْرًا لَهُ عَلَى نِعَمَائِهِ.

الْفَرَحُ يَكُونُ بِالتَّوَاضُعِ وَالْإِخْبَاتِ لِلَّهِ وَبِالْيَقِينِ الْجَانِبِ:

أُثْمُهَا الْإِخْوَةُ الْكَرَامُ: الْفَرَحُ يَكُونُ بِالتَّوَاضُعِ وَالْإِخْبَاتِ لِلَّهِ، وَبِالْيَقِينِ الْجَانِبِ.

{ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَذَفْنُهُ عَلَى رَحْلِهِ مُتَخَشِّعًا }

(أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا جَاءَ تَضَرُّعُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (3)

(سورة النصر)

لِمَاذَا فِي هَذَا الْمَوْطِنِ **(فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ؟)** لَأَنَّا فِي مَوْطِنِ الضَّعْفِ، مَعْظَمُ النَّاسِ يَلْجَأُونَ إِلَى اللَّهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، لَكِنْ عِنْدَمَا تَحْصِلُ الْقُوَّةُ وَالنَّصْرُ وَالْفَتْحُ، رُبَّمَا يَدْخُلُ إِلَى النُّفُوسِ شَيْءٌ مِنَ الْكِبَرِ، فَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ اسْتَغْفِرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتَهُ، التَّجَوُّعُ إِلَى اللَّهِ فِي لَحْظَاتِ الْقُوَّةِ، كَمَا كُنْتَ مُلْتَجِئًا إِلَيْهِ فِي لَحْظَاتِ الضَّعْفِ، اسْتَغْفِرْ لَذَنْبِكَ، أَنْكَ مَرَّ فِي خَاطِرِكَ يَوْمًا، أَنَّ اللَّهَ لَنْ يَنْصُرَ أَوْلِيَاءَهُ، اسْتَغْفِرْ لِأَنَّهُ مَرَّ فِي خَاطِرِكَ يَوْمًا، أَنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَلَ عَنِ الْمَجْرِمِينَ، اسْتَغْفِرْ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ مَرَّ بِخَاطِرِكَ يَوْمًا، أَنَّ هَؤُلَاءِ أَفْلَتُوا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْ حَسِبْتَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفُتُوا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (4)

(سورة العنكبوت)

لَا يُمْكِنُ، هُنَا جَاءَتْ **(وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا)** فِي لَحْظَاتِ الْقُوَّةِ، سَبَّحَانَ اللَّهَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، اسْتَغْفِرَ اللَّهَ.

الفرح لا يكون بمعصية الله:

أيها الإخوة الكرام: الفرّح لا يكون بمعصية الله، ولا يكون بالاختلاط، لا يكون الفرّح باختلاط بين النساء والرجال، نفرّح بتحرير سورية فنعصي الله تعالى، لا يكون فرح، لا في عيد فطر، ولا في عيد أضحى، ولا في ذكرى تحرير، لا يكون الفرّح بمعصية، كيف نفرّح بفصل الله ثم نعصي الله؟! فيجب الانتباه، لا يكون الفرّح بإطلاق الرصاص في الهواء، ولا بترويع الناس، ولا بالمُغامرة والمغامرة بحياتهم، يكون الفرّح منصّباً بشرع الله، لا يكون الفرّح بتضييع الصلوات والناس في الساحات، بل يكون بأداء الصلوات في أوقاتها، حمداً وشكراً وتذكيراً، وتذكيراً للناس بأيام الله وبفضل الله، الفرّح بفضل الله لا يكون إلا وفق منهج الله.

أيها الإخوة الكرام: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسِبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزن عليكم، واعلموا أنّ مَلَك الموت قد تخطّأنا إلى غيرنا وسيخطئ غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا، الكيّس من دان نفسه وعمل لِمَا بعد الموت، والعاجز من اتّبع نفسه هواها وتمتّى على الله الأمانى، واستغفروا الله.

الحمد لله ربّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وليّ الصالحين، اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيد.

الدعاء:

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا سميعٌ قريبٌ مجيبٌ للدعوات.

اللهم اغفر لنا وارحمنا، وعافنا واعف عَنَّا، وإلى غيرك لا تكلنا، ومن شرور أنفسنا نجّنا وسلّمنا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسنة توفّقنا، نلّقاك وأنت راضٍ عَنَّا.

لا إله إلا أنت سبحانك إنّنا كنا من الظالمين، وأنت أرحم الراحمين، وارزقنا اللهم حُسن الخاتمة، واجعل أسعد أيامنا يوم نلقاك وأنت راضٍ عَنَّا، أنت حسّينا عليك اتكالنا.

اللهم إنّنا نسألك الجنّة وما قرّب إليها من قولٍ وعملٍ، ونعوذ بك من النار وما قرّب إليها من قولٍ وعملٍ.

اللهم إنّنا نسألك رضاك والجنة، ونعوذ بك من سخطك والنار.

اللهم يا أرحم الراحمين اجعل أعظم فرحةٍ لنا يوم نلقاك وأنت راضٍ عَنَّا، اجعل أعظم فرحةٍ لنا يوم تحلّ علينا رضوانك فلا تسخط علينا أبداً، اجعل أعظم فرحةٍ لنا يوم ننظر إلى وجهك الكريم يا أرحم الراحمين، ارزقنا لذة النظر إلى وجهك الكريم، ولذة مُناجاتك في الدنيا يا أرحم الراحمين.

اللهم كُنْ لأهلنا المستضعفين في مشارق الأرض ومغاربها.

اللهم كُنْ لأهلنا في غزّة، كُنْ لأهلنا في فلسطين، كُنْ لأهلنا في السودان، كُنْ لأهلنا في كل مكانٍ يُذكر فيه اسمُك يا الله، كُنْ لهم عوناً ومُعِيناً، وناصرراً وحافظاً ومؤيداً وأميناً.

اللهم عليك بالصهاينة المُعتدين فإنهم لا يعجزونك.

اللهم إنهم قد طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد، فضبّ عليهم سوطاً من عذاب، إنك لهم بالمرصاد.

اللهم ارزقنا نصراً على أنفسنا وعلى شهواتنا، حتى نتنصر لك فنستحق أن تنصرنا عليهم يا أرحم الراحمين، وارزقنا صلاةً في المسجد الأقصى قبل الممات، فاتحين مُحررين برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم اجعل بلادنا آمناً سخاءً رخاءً، وسائر بلاد المسلمين، وابسط عليها رحمتك، وابسط عليها رضوانك يا أرحم الراحمين، ووفّق القائمين عليها لما فيه مرضاتك، وللعمل بكتابك وبسنة نبيك صلى الله عليه وسلم، والحمد لله ربّ العالمين.